12me. Année No. 551

Lundi - 24 - 1 - 1944

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مصر

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٥١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٨ المحرم سنة ١٣٦٣ — الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٨١ فى التأنى الســـلامة ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٨٣ القصيد المرسل ... ... : الأستاذ جليل ... ...

٨٥ على محمود طه شاعر الفن والجمال : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٨٨ أعوذ برب الفلق من شر ما خلق : « الكاتب المجهول » ...

٩١ كتب وشخصيات : الصديقة بنت الصديق ... ... العقاد : الأستاذ سيد قطب ... ...

٩٤ إلى الأديب محمد الهلالي [قصيدة] : الدكتور عزيز فهمي ...

٩٥ حول خلود الروح ... ... : الأديب زكريا إبراهيم ...

٩٥ حول ختان البنات فى مصر : الأديب سليمان بخيت ... ...

٩٦ فى الصديقة بنت الصديق أيضاً : الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

٩٧ لبشار أم لكثير عزة ... ... : الأستاذ برهان الدين الداغستاني

٩٨ الاعتراف ... ... : الكاتب الفرنسي جي دي موبسان بقلم الآنسة دريه رسم ...

٢٢٠٦

فى التأنى السـلامة

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلنا فى كتاب « الصديقة بنت الصديق » أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تروى كثيراً من الشعر ... « وكانت تحفظ من شعر عروة بن الزبير نفسه وتسوق الشاهد منه فى موقعه ، كما قالت وهى ترى النبى عليه السلام يتندى عرقاً فى يوم قائظ وقد جلس يصلح نعله : لو رآك عروة لكنت المعنى بقوله :

فلو سمعوا فى مصر أوصاف خده
لما بذلوا فى سوم يوسف من نقد
لواحى زليخا لو رأين جبينه
لآثرن بالقطع القلوب على الأيدى

إلى آخر ما جاء فى ذلك الكتاب

وقد رأينا فى العدد الأخير من مجلة الثقافة كلاماً بتوقيع « أحمد محمد شاكر » يقول فيه :

« أما هذه القصة فقد أطلت البحث عنها فى المصادر المحترمة من كتب الحديث والسير والتاريخ حتى أتعبنى البحث ، ثم لم أجدها . وهذا النوع من الكاتبين لا يتورعون عن تكذيب الأحاديث الصحيحة المروية فى كتب السنة الصحاح والتى رضيها أهل العلم بالحديث : بكذبونها إذا لم توافق أراءهم وما يدعون إليه

من نظريات يتناولون فيها قواعد الإسلام ، ويزعمون أنهم يتبعون بذلك ما يسمونه طرق النقد الحديث ، ثم يحكون عن رسـول الله وعن أصحابه الأكاذيب لا يرون بحكايتها بأساً وينسبونها إليهم نسبة جازمة ، كأنها من الحديث الصحيح لا يتحرون ولا يبحثون ، إنما هو سواد فى بياض ، يغسل به الناس وهم يشعرون أولا يشعرون . . . أنا لا أجيز لنفسى أن أتهم الكاتب الجرىء بأنه اخترع هذه القصة من عند نفسه ، ولكنى أظن أنه رآها فى كتاب من كتب السمر ... »

إلى أن يقول :

« الذى نعرفه من التاريخ الصحيح فى أمر عروة بن الزبير أنه ولد فى آخر خلافة عمر سنة ٢٣ وقيل بعد ذلك . . . » إلى غير ذلك من أشباه هذا الكلام الذى يتم قليله على كثيره

وكان بودنا أن ننقل هنا كلمة الكاتب بحذافيرها لتشهد عليه وعلى طويته وبواعث نقده ، لولا أننا نطيل فى غير طائل . وإن الاجتزاء بما نقلناه كاف للدلالة على دخائل الصدور وكوامن النيات .

فأوجز ما نقول وأصدقه أن الجرأة كل الجرأة هى فى إقدام الكاتب على مثل هذا الكلام وهو يضع نفسه موضع الحكم الفصل فى أخبار السيرة ومراجع الأحاديث والمحدثين مع قصور المراجع التى عنده وقصوره فى البحث عنها ، واستيفاء مواضع الاستقصاء منها ، فى مسألة بعينها هى معروضة له ومبسوطة بين يديه

ولا معابة على أحد أن يفوته بعض المراجع التى لا تفوت غيره ، ولكن المعابة كل المعابة أن يبحث عنها عامداً فلا يهتدى إلى طريقها ، وهو يتحدى ويناجز ويتهم ويماجز ، وبه ما به من هذه اللهفة على إظهار العلم الغزير وإغلاق موارد البحث دون الباحثين

تلك معابة أى معابة على من يحسب أنه يتحرى وحده ويبحث وحده مكتفياً بما فى يديه غير مستزيد مما عنده . ثم هو يبسط يديه معاً إلى أقصى مداهما فلا تبلغان ميسور ما فى الأيدى من المراجع فى باب السير وكتب المحدثين

فليعلم هذا الكاتب — الجرىء — إذن أننا لم نخترع هذه القصة من عندنا ، وأننا لم نرها فى كتاب من كتب السمر ولا فى كتاب من الكتب التى يعوزها الاحترام ؛ لأن شرح شمائل الترمذى ليس اختراعا لمؤلف « الصديقة بنت الصديق » ولا هو حكاية من حكايات الأسمار ، ولا هو مهزلة يعوزها احترام مثله ، وهو لا يرتقى إلى منزلة التلميذ المستفيد بين أصغر شراح الترمذى فى أخبار السيرة وعلم الحديث

فشمائل الترمذى وشروحه من أشهر كتب السيرة التى يتسامع بها العلماء الواصلون والشداة المبتدئون ، وهذه القصة مذكورة فى شرح الشمائل للعلامة محمد بن قاسم جسوس يراجعها فى الجزء الأول صفحة ٢٩ من الطبعة المصرية وفى صفحة ٤٠ من الطبعة الخارجية ، ليعلم أننا لا نخترع ولا نعتمد على كتب الأسمار ، وأنه لا يزال يتهجى فى مراجعة فهارس المكتبات ليعلم أين يكون البحث وكيف يكون الاستقصاء ، ودع عنك المطولات والمبسوطات ، ودع عنك الشروح والأصول

وظاهر من كلام هذا الكاتب الجرىء الذى نقلناه والذى لم ننقله أنه يتتبع ما ألفناه من كتب « المبقريات » واحداً بعد واحد ، وأنه على اللهفة التى ما بعدها لهفة للعثور على هفوة هنا أو نتيجة هناك ، ثم يطلق عقال الحفيظة ليثور ويفور ، ويبلغ قصاراه من الثوران والفوران

فإذا كان قد أضنى نفسه بحثاً فى خمسة كتب أصدرناها من سلسلة المبقريات وما إليها فلم يخرج منها — مع تلك اللهفة وذلك التجنى — بغير تلك القصة ، فهل فى وسعه أن يشهد لباحث فى الشرق أو فى الغرب بتحقيق أوفى من هذا التحقيق ، وفضل أشرف من هذا الفضل ، وعناية أكبر من هذه العناية ؟

أين هو الباحث الذى كتب فى السيرة أو غير السيرة ، وبين المتقدمين أو غير المتقدمين ، ثم تعقبه المتيقظون المتلهفون على الأخطاء فعصموه عن حكايات فضلاً عن حكاية ، وعن مخالفات لآرائهم فضلاً عن مخالفة واحدة ؟

صفحات تتجاوز الثلاث إلى الألوف كلها تنزيه للنبى وتعظيم لأصحابه وأنت فى لهفتك على المعابة تجحظ عيناك فى كل سطر منها فلا تقع على غير تلك القصة التى لا تضير ولو كذب رواتها جميعاً ثم تخرج بها إلى الناس نافخاً فى الصور ، متشدقاً بعظائم

الأمور ، ناسياً لصاحب تلك الصفحات كل ما أصاب فيه ، ولو كنت على يقين وأنت كما رأيت لست على أقل يقين !

هب العلامة ابن قاسم الذى شرح شمائل الترمذى قد روى ما رواه خطأ من شعر عروة بن الزبير ، وهب عروة لم يقل هذا الشعر ولم تنشده السيدة عائشة ، فماذا فى الرواية مما لا ينبغى للسيدة عائشة أو مما لا ينبغي للنبي عليه السلام ؟

هل فيها إلا أن السيدة عائشة كانت تثنى على جمال النبى وأن النبي كان يسره هذا الثناء ؟

أهذا الذى لا ينبغى لعائشة رضى الله عنها ولمحمد صلوات الله عليه ؟ كلا بل هذا الذى ينبغى لهما دون غيره ، ومن أنكره فهو الكاذب الذى لا يفقه ما يقول

وهأنذا أعيدها جهرة بغير سند ولا رواية من شاعر أو فقيه : لقد كانت عائشة تثنى على جمال محمد وكان محمد يرضى عن هذا الثناء

أسمعت يا هذا ؟

مرة أخرى أعيدها لك ولغيرك ممن يشاء أن ينكرها ، فأقول ثم أعيد أن عائشة أثنت على جمال محمد غير مرة وأن محمداً رضى عن هذا الثناء فى كل مرة ، فإن كانت قد بلغت أذنيك فاذهب إلى صورك فانفخ فيه ما بدا لك ، وادع من يستمع لك أو يستجيب

فليس فى القصة ما يدعو إلى الاستنكار والتردد من وجهة الأدب فى حق النبى عليه السلام ، ويجوز من الوجهة التاريخية أن يكون عروة قد ولد بعد العهد الذى ذكره الرواة .

ولكن يستبعد جداً أنه ولد فى سنة ٢٣ التى اعتمدها حضرة البحاثة المتحرى البارع فى تحرى الأعمار والأوقات ، لأن أم عروة أسماء بنت الصديق ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وليس هو بآخر أولادها ، ويبعد جداً أن تلد المرأة بعد الخمسين

ومع كل هذا لا نرى نحن أن نجعل رواية من روايات السنوات والأعمار مبطلة لمقال أو قصيد على سبيل الجزم الذى لا مراجعة فيه ؛ فعمر بن الخطاب نفسه مختلف فى عمره بين خمس وخمسين سنة كما يقول ابن قتيبة ، وثلاث وستين كما يقول الواقدى ومن جاراه . وحديث الإفك نفسه مختلف فى سنته مع اتصاله بتنزيل آيات من القرآن فى موضوع البراءة وموضوع الحجاب ، وتواريخ الآيات أولى بالتمحيص من تواريخ الأحاديث أو تواريخ الأشعار

وقد طبعت لجنة التأليف والترجمة التى تصدر « الثقافة » كتاباً اسمه إمتاع الأسماع جاء فيه صفحة ٢١٥ « أن غزوة بنى المصطلق التى قال أهل الإفك فيها ما قالوا كانت فى شعبان من السنة السادسة » ثم جاء فيه بالصفحة التالية : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكر يوم الثلاثاء لثمان مضت من ذى القعدة سنة خمس ، وقيل كانت فى شوال منها ، وقال موسى ابن عقبة : كانت فى سنة أربع ، وصححه ابن حزم ، وقال ابن اسحاق فى شوال سنة خمس ، وذكرها البخارى قبل غزوة ذات الرقاع واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم »

أفيعد هـذا الاختلاف فى تواريخ القوم للمناسبات التى هى أجل من شعر عروة بن الزبير وأولى بالإثبات يريد صاحبنا أن نطيل الوقوف على عمر عروة لأنه قال كلاماً يجوز أن يقوله كل إنسان ، بل هو معنى كل ما قيل فى غرضه ومحواه على ألسنة جميع المسلمين

إننا أطلنا الوقوف حيث ينبغى أن يطول وقوف الباحث الحريص على كرامة محمد وذويه

أطلنا الوقوف حيث كان أمثال هذا الناقد الحاقد يتقبلون الروايات وهى أغرب ما روى وأنآه عن المقول وأولاه بإنعام النظر ودفع الشبهات

كانت روايات من أقوال الأقدمين تذكر أن النبي عليه السلام خطب السيدة عائشة وهى فى السادسة وبنى بها وهى فى التاسعة . وكان هذا مجالا لأعداء الإسلام وأعداء نبى الإسلام يبدئون فيه ويعيدون ، ويجدون المستمعين والمتشككين حتى بين المسلمين . فهنا مجال لإطالة الوقوف يعبره أمثال هذا الناقد الحاقد مهرولين ويجهلون ما وراءه من الزور الأثيم والبهتان المبين . وهنا وقفنا لنثبت بالعقل والنقل أن محمداً عليه السلام لم يبن بالسيدة عائشة إلا وهى فى السن الصالحة للزواج بين بنات الجزيرة العربية ؛ فأثبتناه على رغم الأقاويل والسنين

أما عمر عروة بن الزبير فهو « الفارغة » التي يتصدر فيها